الجمال في القران الكريم
Beaute dans le coran

بلحيارة خضرة
جامعة سعيدة (الجزائر)

ملخص

يعد الجمال من القيم التي تحدث عنها القران الكريم في مواضع عدة وقد تناولها الفكر الإنساني بمعزل عن الدين والحق منذ بداية الفلسفة اليونانية تناولا مضطربا بمفاهيم عدة تحولت معه هذه القيم إلى قضايا نسبية وقد اخفق الفكـــر الإنساني تماما في وضع مقاييس ثابتة لها، لكن الذكر الحكيم تناول هذه القيمة (الجمال) تناولا محكما وسديد يجعلها في لمجتمع البشري ودفعه إلى تحقيق رسالته الكريمة.

كلمات مفتاحيه : الجمال – القيم – تصوير جمالي – التناسق – مصادر الجمال.

Résumé

La beauté des valeurs dont on parle le Coran à plusieurs endroits et a été traitée par la pensée humaine en dehors de la religion et le droit depuis le début de la philosophie grecque qui a abordé les concepts de façon turbulentes de plusieurs de ces valeurs et qui lui a déplacé vers les questions relatives , n'a pas réussi la pensée humaine complètement dans le développement de ses jauges fixes , mais le Saint Coran manage cette valeur (beauté) adressée à l'arbitre et de les corriger dans la communauté humaine et poussé pour atteindre ses messages sacres.

Mots clés: Beauté - Valeurs - imagerie esthétique – Coordination - Signification Esthétique

Summary

The beauty of the values that are talked about the Koran in several places and has been dealt human thought apart from religion and the right since the beginning of Greek philosophy addressed turbulent concepts of several of these values shifted him to the relative issues have failed human thought completely in the development of fixed gauges her , but the Holy Quran eating this value (beauty) addressed the arbitrator and correct them in the human community and pushed to achieve his stones.

Key words: Beauty - Values - aesthetic imagery - Coordination - Aesthetic Meaning

تمهيد:

لا يزال الخطاب الإلهي المقدس , القرآن الكريم, يغري الباحث في مجال البحوث والدراسات الفنية والجمالية والأدبية أوفي مجال العلوم التطبيقية والعملية بما يحمله من خصائص المفردة القرآنية التي تتجدد بتجدد العصور والصالحة لكل زمان ومكان والتي تلبي الحاجة الفكرية والعقدية في شتى مناحي الحياة، وبما تحمله من عمق فكري وديني ينفع المجتمع والفرد ويجعل كلام الحق من أرقى وأعظم الكلام.

يعتبر الجمال من القيم التي تناولها القرآن الكريم تناولا محكما سديدا يجعلها تسهم في سموا لمجتمع البشري ودفعه إلى تحقيق رسالته الكريمة، وهذه القيم هي: الحق والخير والجمال، وورد لفظ " جميل " و" جمال " في آيات من القرآن الكريم تتحدث عن الجمال الحسي والمعنوي الخلقي، والجمال الحسي ظاهر في كل مخلوق متناسق، لا عوج في خلقه ولا اضطراب، ولا تشويه، والله تبارك وتعالى خلق الكون بما فيه ومن فيه على أكمل صورة وأجملها وأسماها، وقدم الله تبارك شأنه ظواهر هذا الكون الجميل في كتابه العزيز شواهد على قدرته، ودلائل على ربوبيته وألوهيته وآيات ناطقة بتوحيده.

مفهوم الجمال:

يعني الجمال في اللغة، الحسن والزينة والحلاوة والبهاء والاتساق عند الزمخشري[1] واللطف والاعتدال والمداراة والتخلق والصبر عند أبي بكر الرازي[2]، ووجد الجاحظ أن وضوح الإشارة وصوابها وحسن اختصارها ودقة البدء في إرسالها يكون أبين لظهور المعنى، فكلما كانت الإشارة أوضح كانت اقرب للظهور إلا انه لا يستثنى المعنى الظاهر الدال على الخفي في كشف البيان الممدوح والذي اقترن بنص القرآن الكريم وكان مصدرا للفخر بما تمتع به من حسن البيان[3] ويرى الفارابي أن الجمال هو تحقيق القيم الخيرة في الأشياء الجميلة من خلال بنائها وترتيبها[4]

ويقر بأن إدراك الإنسان للجمال نسبي إذا ما قورن بادراك الخالق للجمال، لأن الخالق يمثل الجمال ذاته.

" فان إدراك الجمال غير متيسر تماما للإنسان، ولا يدرك الجمال إلا من قبل أصحاب العقول وينال قبولهم، فالجمال وفق رأي الفارابي يمثل الشيء الذي يستحسنه العقلاء "[5] , وهذا التوجه الأخلاقي والنفعي يقدم قيم الخير عبر البناء المرتب شكلا ومضمونا ويسند التوجه التشكيلي في تكشف هذا البناء القيمي للحصول على الإدراك الجمالي ولم يعزل إدراك الجمال عن إمكانية العقل واستحسانه لما هو جميل لارتباط العقل بالمعايير المنطقية.

المعايير الجمالية عند العرب:

يحدد ابن قتيبة المعايير الجمالية في إبانة جوانب المجاز إذ رأى أنها تشمل الاستعارة ,والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير

والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع

والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين.... [6].ويرى التوحيدي أن الإدراك الجمالي ينشأ بصورة بديهية من المصدر' الله سبحانه وتعالى عبر قدرة روحانية تنشأ في الذات الإنسانية، وإن مصادر الجمال تختلف باختلاف المناشئ الحياتية والتي تسهم في تمييز القبيح من الجميل، ويبين وجود معايير للجمال وأنه لابد من أن تتحقق في الحسي / الجانب الموضوعي وتتمثل هذه المعايير في اكتمال مفردات الحسي وأن تكون متناسبة فيما بينها وأن هذا الاكتمال والتناسب بين مفردات الحسي هو الذي يقود عملية الإدراك الجمالي وفاعليتها عند المتلقي وتناول ابن سينا المقولات الجمالية المتعلقة بالإلحان والإيقاع والنغم الخاصة بالتأليف والأزمنة، كما أشار إلى مقولة الأضداد بين اللين

والخشونة والسعة والبعد وضرورة تناسب تشكلهما،ويتخذ الكمال الحاصل من ذلك عن طريق تحقيق ذلك في اللذة وهذا الكمال يحقق النفعية الخيرة، يقول ابن سينا " كل مستلذ به فهو سبب كمال يحصل للمدرك وهو بالقياس إليه خير "[7].

ميز الغزالي بين الجمال المدرك بالعين المجردة وهو مدرك لذاته وبين الجمال المدرك بالقلب وهو مدرك آخر، مقسما الجمال إلى جمال ظاهر وجمال باطن، ولا يستبعد تمازج الظاهر والباطن عندما يؤكد دور الحواس في إدراك الجمال الظاهر

وباستحسانه تمهد الطريق للبصائر الباطنية لإدراك الجمال الباطني للتشكيل الحسي الخارجي، فالجميل وضع للصورة الظاهرة المدركة بالبصر وتدرك البصائر الباطنية الجمال الباطني بوسيلة الجمال الخارجي,ويمزج الغزالي بين الأخلاق والجمال وعدم افتراقهما " ذلك أن الجمال لا يقتصر مثلا على شكل الجسد الظاهري بل ويشمل السلوك الأخلاقي له، وأي قصور ينتقص من مستوى التكشف الجمالي الكلي "[8].

فهو بذلك يق رن الجمال الشكلي بالجمال المضموني، ويربط جمال الصورة بمضمونها كما اشترط في الحسي المتصف بالجمال معايير تحقق (التلاؤم والتوافق) مع البصر، ومن ثم يأتي التأثير بالإدراك الباطني الذي يعمق إدراك جمالية الصورة الحسية عبر كشف مضمونها الذي يزيد من جماليتها، لذا اقترح الغزالي نسبية الجمال وتختلف مستوياته باختلاف قربه من النموذج المتكامل المناسب ولقد أكد عبد القاهر الجرجاني على أهمية الصياغة الفنية في تكوين الموضوع الجمالي والتي تتطلب نسج المتباينات بدقة ويفرق بين الاستعارة والتشبيه، " ولما كانت ثنائية الحسي / العقلي تحيل بطريقة غير مباشرة لمعيار التأويل، فمعنى ذلك أن مقولة (التأويل) التي هي الوجه الآخر لمقولة المجاز قد أصبحت مقولة تصنيفية تساهم في بناء العلم / علم البلاغة "[9]،فالجمال عند المتكلمين، يرادف "الحسن"، والحسن في عرفهم ضد القبح، ويطلق على ثلاثة معاني:

1- كون الشيء ملائما للطبع وضده منفرا له.

2- كون الشيء صفة كمال، وضده القبح الذي هو صفة نقصان فما يكون صفة كمال كالعلم فهو حسن وما يكـــون من النقص كالجهل فهو قبيح.

3- وكون الشيء متعلق بالمدح أو الذم، وما تعلق بالمدح حسن وما تعلق بالذم فهو قبح.

وبهذا يمكن القول أن الجمال " يعني حسن ما في الطبيعة والكون والحياة من كتل وأحجام وأبدان وأجسام، وأوضاع وهيئات وأشكال، في زينتها وحلاوتها وتناسقها وبهائها، في مختلف الكائنات والموضوعات والأشياء المادية الجامدة، أو الحية النابضة، التي تخاطب شبكة حواسنا، وتتفعل بها وجداناتنا "[10].

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد تناولت الجمال على أساس النظام والتماثل والانسجام (فيثاغورث) وأخضعه ديموقريطس إلى الأخلاق وجمعه بالاعتدال، واقرنه سقراط بالخير والمنفعة واعتبره أفلاطون صورة عقلية تنتمي لعامل المثل، ويربطه أرسطو بالتآلف والنقاء والإشعاع والتوازن والنظام، ويقرنه أوغسطين بتناسق الأجزاء وتناسب الألوان.[11]

ففلسفة الجمال تعني ما يتطابق مع معايير التوازن والمرونة والتناغم والكمال في نوعه " ومع صفات وكيفيات أخرى مماثلة "[12]،وأما في الفكر الإسلامي كما ذكرنا آنفا فالفلسفة الجمالية عند المسلمين تختص في بحث ماهية التطور الجمالي وإبانة المعايير الأساسية التي تتحكم في قيادة المنظور الجمالي للمتلقي عند إدراكه لمعايير التشكيل الجمالي، فقد " تميزت المعطيات الجمالية في الإسلام بتأكيد الإعجاز الإلهي عبر الموجودات الحياتية، والتي تكشفت في القرآن الكريم بوصفها آيات بينات لتأكيد الصياغة الجمالية للخالق المبدع، إذ تمتع القرآن الكريم بجملة معايير جمالية إبداعية أسهمت في إبانته بطريقة اعجازية، حققت تأثيرها الفاعل في نفس الإنسان المسلم "[13-14].

معايير التصوير الجمالي في القران:

من أهم المعايير الجمالية للتصوير الجمالي في القرآن الكريم التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية والايقاع والتناســـق والتقابل والإيجاز والإطناب وقوة البيان ودقة الاجمال وجودة الصورة، ولعل تشكل جملة المعايير الجمالية للتصوير القرآني والأصول الجمالية الإسلامية للمنجز الفني منطلقه مهم لاستخراج عدد من المعايير الجمالية الفنية التي تدخل في منظومة المشهدي في القصة القرآنية كمثال، ويبدو الجمال في نظر المتصوفة " نزوعا نحو معرفة إرادة الحق عبر رموز الموجودات ومـــالها من التجلي والقدرة الإبداعية من ذات الحق وهو ما برهن عليه المتصوفة من خلال تعلقهم بالله سبحانه وتعالى "[15]، فجمالية الحسي محدودة، بينما جمالية غير الحسي غير محدودة، ووسائل التعبير عن الحسي محدودة ومنطقية تعد الأشياء وتمثلها، بينما وسائل التعبير عن غير الحسي غير محدودة، انفعالية مبهمة تأويلية، ويمثل الترميز والتأويل معايير أساسية في جمالية التصوف، وهذه المعايير يمكن توظيفها كشكل أساسي ضمن متطلبات التشكيل الجمالي للنص القرآني.

فمصطلح الجمالية تعني تقديم أو دراسة وجه الجمال في الشيء وهو مصدر صناعي من "جمل" أما في القرآن الكريم فالجمالية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه من خلال الموضوعات القرآنية المتعددة والتي تشمل المفردة المنتقاة الصافية والتركيب الجزل والصورة البارعة والحكمة البليغة والمثل السائر، والقصة الواعظة والحوار الفني، والتشريع السامي، والتصوير الكامل والتهذيب المربي. وابرز ما يميز الجمالية في القرآن عناصر الأداء التعبيري المناسب والذي يشمل التعبير الفني بألوانه وأنواعه وفق الدواعي النفسية والاجتماعية والاعجازية وما يحويه من إيجاز وتصوير بالكلمة المعبرة والتركيب الموحي والآية أو الآيات المصورة في مشاهد حية ولوحات شاخصة وأحـــوال نفسية وذهنية عامة، و"جنة عدن" التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: " وجنات عدن يدخلونها، تجري من تحتها الأنهار " (سورة النحل الآية 31).

وقوله عز وجل: "**جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ** " (سورة فاطر الآية 33)، وقوله تعالى: " **وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ** " (سورة الصف الآية 12)،وغيرها من الآيات، هذه الجنة التي يعد الله سبحانه وتعالى بها عباده المتقين هي أجمل مكان وأروعه وصفا، وأخصب بقعة خلقها الله تعالى، فأنبت فيها الشجر والرياحين والأزهار وأجرى فيها الماء السلسبيل إلى آخر الأوصاف الحسية التي يمكن تصورها في الدنيا، والمرتبطة بالجمال والروعة الأخاذة.

ويضم القرآن إشارات عديدة إلى هذا الجمال المادي الذي يزين الكون الواسع والطبيعة الممتدة، الدال على عظمة الخالق كقوله تعالى: " **إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ**" (سورة الصافات الآية 06) وقوله عز وجل: " **وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ** " (سورة فصلت الآية 12) وقوله تعالى: " **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِلْأَرْضِ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** " (سورة الكهف الآية 7)، ومعنى هذه الإشارات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى يدلنا على خالقتيه وربوبيته وجماليته بهذه المسحات والآيات الجمالية، ومن ذلك أيضا حديث القرآن الكريم عن خلق الإنسان، إذ قال تعالى بعد أن وصف مراحل الخلق التي مر بها الإنسان: " (**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**) " (سورة المؤمنون الآية 14)، ولا شك أن يكون المخلوق لأحسن الخالقين في أرفع مستوى من الجمال والإتقان والكمال، وهناك آيات أخرى تنبئ عن ظواهر الجمال في خلق الإنسان وهي متمثلة في التعديل والتسوية والتقويم، يقول سبحانه جل شأنه وتبارك اسمه: " **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** " (سورة الانفطار الآية 6–8)، فمن كرم الله تعالى ذكره انه عدل هذا الإنسان المخلوق وسواه وقومه، وجعله في أحسن صورة، وعلى أشكال متنـــــوعة ومتعددة، ويقول سبحانه أيضا: " **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** " (سورة التين الآية 4)، فتناسق الخلق والتنائي عن العيب، مظهر أصيل للجمال وتزيين السماء بالنجوم يجعل الجمال هدفا في الخلق،

وهي عبارات كلها تمثل أنماط من الجمال لها مغزاها الكبير، ومن جمال الحياة الثياب، يلبسها الإنسان فتستره، وتجمله، يقول تعالى: " **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ** " (الأعراف الآية 26)، وهكذا يؤكد النظرة الإسلامية للجمال التي تؤثر الجمال المعنوي وجمال الحياة الباقية مع مراعاة حاجات الإنسان ومطالبه الغالبة في الدنيا، بل يغريه بقضائها إغراء ملحا في إطار الطيب والحلال الذي يزيد الجميل جمالا، فيقول جل شأنه: " **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....**" (سورة الأعراف الآية 31–32)، فالجمال المعنوي والنفسي الماثل في الاستمساك بمنهج الدين أولى بالاعتبار وأجدر بالحرص عليه والأخذ به، والبيان القرآني يعرض ذلك الجمال عنصرا أساسيا في بناء الكون، ودعامة من دعامات الدين الحق وشريعته السمحة، والنفس الإنسانية الكاملة بإيمانها الصحيح، ترى الجمال صفة جوهرية فيها، تنطلق منها إلى آفاق السمو والكمال البشري.

ويبقى التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن الكريم، فهو يحول المعنى إلى صورة، فإذا هي تصبح واقعا أمامك، والأمثلة هي كل القرآن تقريبا فيما عدا التشريع، ومهما قيل بخصوص الجمال في القرآن سواء ما جاء بنص صريح ومفردة صريحة أو ما جاء ضمنيا في معاني القرآن بسحر بيانه وقوة سبكه فلا يمكن للباحث أن يستشف الحقائق الكلية فيه أو أن يلم بكل ما حوله وما فيه من أسرار.

الهوامش والإحالات

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، القاهرة، 1953

[2] ابي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت

[3] ينظر الحافظ ابي عثمان عمرو بن بحر، الكتاب 2، البيان والتبيين، ج1، ط5، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ص75

[4] جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، 1985، بيروت، ص 186

[5] نصر حامد ابوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير – دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ط5، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2003، ص 93

[6] ابن سينا ابي علي، الاشارات والتنبيه، شرح: نصر الدين الطوسي، تحقيق، سليمان دنيا، (مصر، مطابع دار المعارف 1958)، ص 762

[07] ينظر الغزالي ابواحمد، احياء علوم الدين، ج4 (القاهرة دار الشعب، دت) ص 719

[08] نصر حامد ابوزيد، النص والسلطة والحقيقة – ارادة المعرفة وارادة الهيمنة، ط4 (المغرب) الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000، ص186

[09] عبد الحميد خطاب، الجمالية والفن عبر التوجيه الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص17

[10] ينظر عبد الحميد شاكر، التفضيل الجمالي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، مارس 2001، ص08

[11] اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، تعريب خليل احمد خليل، اشراف احمد عويدات، (بيروت، باريس)، منشورات عويدات 1996، ص132

[12] ينظر عبد التواب صلاح الدين، الصورة الادبية في القرآن الكريم (مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان 1995) ص43

[13] ينظر الصغير محمد حسين علي، الصورة الفنية في المثل القرآني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر العراق، سلسلة دراسات 1981 ص 150، 154، 166، 198، 215، 288

[14] عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص73-74

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- ابن سينا أبي علي، الإشارات والتنبيه، شرح نصر الدين الطوسي ، تحقيق سليمان دنيا، مصر، مطابع دار المعارف، 1958.

3- أبوعثمان عمروبن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ط5، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.

4- أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار القلم ن بيروت.

5- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، ترجمة خليل احمد خليل، إشراف احمد عويدات (بيروت – باريس)، منشورات عويدات.

6- عبد الحميد خطاب، الجمالية والفن عبر التوجيه الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية .2011

7- عبد الحميد شاكر، التفضيل الجمالي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ن المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، مارس 2001.

8- عبد التواب صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، .1995

9- عبد القادر فيدوح، الجمالية في الفكر العربي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، .1999

10- الغزالي أبواحمد، إحياء علوم الدين، ج4، القاهرة، دار الشعب، د ت

11- الصغير محمد حسين علي، الصورة الفنية في المثل القرآني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر العراق، سلسلة دراسات .1981

12- نصر حامد أبوزيد، الاتجاه العقلي في التفسير، دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ط5، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، .2003

13- نصر حامد أبوزيد، النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ط4 – المغرب – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000.